جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

رؤية قومية مقترحة لعمل منظومة موسيقية تنموية فعَالة فى المجتمع المصرى

إنجى صلاح فريد عدوى

أستاذ دكتور بقسم النظريات والتأليف بكلية التربية الموسيقية جامعة حلوان

لعبت الموسيقى دوراً هاماً فى العديد من الشعوب كوسيلة لتحقيق التنمية المجتمعية، كما إستُخدمت كأداة لتفعيل التغيّر في العالم على مر التاريخ. وقد أكّد على ذلك فلاسفة اليونان القُدامى ، حيث ذكر أرسطو أن الموسيقى لها القدرة على تكوين الشخصية، وبالتالي ينبغي تعليمها فى وقت مبكر.

Music has a power of forming the character and should therefore be introduced into the education of the young ~ Aristotle

بينما اعتبر الفيلسوف اليونانى أفلاطون أن الموسيقى هى القانون الأخلاقي ، الذى يعطى الروح إلى الكون، وأجنحة للعقل، والحياة لكل شيء ... وبدون الموسيقى، سوف يكون هناك خطأ فى الحياة.

Music is a moral law. It gives soul to the universe, wings to the mind, and life to everything... Without music, life would be an error ~ Plato

وفى العصر الحديث أكدت العديد من الأبحاث على أهمية الموسيقى ودورها فى تنمية الشخصية والجوانب الإجتماعية، وفى تنمية طاقات الطفل المختلفة وعلى العديد من المكونات الجسمية والعقلية والإنفعالية والإجتماعية، وتنمية التوافق الحركى العضلى بالإضافة إلى تدريب الأذن وتنمية الإدراك الحسى الحركى، وتنمية القدرة على الإبتكار.

وقد حققت بعض دول أمريكا اللاتينية (فنزويلا) نجاحاً باهراً فى تأسيس مشروع موسيقى ضخم بعنوان "السيستيما" منذ السبعينيات الى وقتنا هذا. لعبت فيه الموسيقى دوراً هاماً فى علاج بعض المشكلات المتفشية فى المجتمع منها الفقر، الإدمان ، العشوائيات . وانتقلت الفكرة إلى العديد من الدول الأخرى منها أمريكا وكندا واسكتلندا وغيرها من الدول الأوروبية.

فهل يمكن أن تُستخدم الموسيقى كوسيلة على أرض الواقع بمصر لتحقيق التنمية المجتمعية؟

ترى الباحثة أن هناك مبادىء أساسية لتحقيق منظومة موسيقية متكاملة فى مصر كوسيلة تُسهم فى تحقيق التنمية المجتمعية ، تلك المنظومة ينبغى أن يكون لها رؤية واضحة وأدوات محددة وشبكة تواصل ، كما ينبغى أن تراعاها قيادة وطنية ، وتوفَر لها الموارد المالية اللازمة.

وتتألف تلك المنظومة من مركز رئيسى بالعاصمة ومراكز أخرى فرعية فى كل المحافظات ، بحيث يتم ربطهم بشبكة تواصل فعالة . وتتجلى تلك العلاقات المترابطة بين المركز الرئيسى وفروعه المنتشرة فى أنحاء الجمهورية من خلال "المهرجانات" والسيمينارات، التي تقوم على مشاريع موسيقية تتشارك فيها تلك المراكز بعضها البعض التقنيات العزفية والفرق الموسيقية والبرامج الدراسية وبناء العلاقات الشخصية والمؤسسية. فمن خلال توحيد الدارسين والمعلمين من مناطق متفرقة من البلاد، تعمل شبكة المنظومة على تجسيد المثل المرتبطة بالمشاركة والتعلم. كما يتم إتاحة الفرصة للدارس التى انتقلت عائلته إلى مكان آخر ان تلحقه فى مركز المدينة الجديدة.

١- أن يتم توفير مراكز موسيقية فى كل محافظة كنواة بيئية موسيقية فنية، تساعد الأطفال والشباب على تنمية مهاراتهم وقدراتهم ،وإتاحة الفرصة للزيارة مرتين لثلاثة مرات اسبوعياً مع التركيز على أهمية الإنضباط. وترتبط طبيعة الأنشطة وجوهر البرنامج المُقدم فى تبادل البعثات الاجتماعية والفنية بين المراكز بعضها البعض بالعاصمة وبالمحافظات الأخرى المنتشرة فى أنحاء البلاد.

٢- أن يكون هناك رسالة واضحة للتغيير المجتمعى تُعبر بها المنظومة الى التغيير المجتمعى وتنمية الأطفال والشباب ، وتقوم على الفرق الموسيقية لتمكين كل طفل وإكسابه الخبره اللازمة ليساعد داخل بلده وتنمية مجتمعه فى داخل أوخارج المراكز المختلفة. ويكمن الهدف الرئيسي فى التحول الاجتماعي من خلال السعي لتحقيق التميز الموسيقي وتحقيق العداله

والمساواه والانضباط، وخلق روح المنافسه المتبادله من خلال الاحتفاليات، فلا يوجد أولوية لأحد على حساب الآخر.

٣- تعمل تلك المنظومة على تطوير وتنمية قدرات ومهارات الدارسين غير الموسيقيين لتحمّل المسؤولية، واكسابهم الشعور بالسعادة والبهجة، والمواطنة الفعّالة، حيث يشعر الدارسين بالمشاركة الفعالة فى عملية صنع الموسيقى، وتحمّل المسؤولية سواء للتحسين الفردي أو الجماعي.

٤- يتم تعليم الأداء العزفى ابتداء من سن مبكرة من خلال الممارسة وتعليم الأقران، فتعتاد العين على مشاهدة الآخر، والتوجيه المستمر بدافع مساعدة الآخرين وتحسين مستواهم وصولاً للتميز الموسيقى.

٥- تعمل المنظومة على زيادة الدافع الداخلى ليصير قوياً لدى المتعلمين، ويكسبهم أخلاقيات طموحة للعمل، ويدفع الدارسين بالالتزام العميق للقيم والممارسات التي تساعدهم على التغيير الإيجابى لحياتهم على مر الزمن.

٦- تقوم الفكرة الأساسية للمنظومة على إكتساب الخبرة سواء فى الأوركسترا أو الكورال الجماعي، حيث تتسابق وتتنافس وتحتفل مجموعات الفرق الموسيقية، مما يتطلب تفاعل المجموعة مع أقرانها، وبالتالي فإن الأداة الرئيسية لتنفيذ المنظومة هي الفرق الجماعية. ويقوم الأطفال بالأداء على الآلآت الموسيقية، ولكن بدلاً من ممارستهم الأداء الفورى، يتم ادخالهم إلى غرف التدريب لممارسة العزف الانفرادي، فإنه يتم وضعهم لأول مرة في المجموعات العزفيه التعاونية والعمل على إيجاد بيئة مترابطة مع بقية أعضاء الفرقة سواء كانوا أعضاء في الفرقة الموسيقية أو الكورال. ويتم حث الطلاب على المشاركة الجماعية والعمل الجماعى التعاونى منذ البدايه. وعلى ذلك، فإن الدعم الفورى الذي يتلقونه من أقرانهم لمواجهة التحديات تدعم قدرتهم على العمل كفريق واحد، وبناء نموذج وسمات تعاونية من المجتمع المتعاون والتكافلى صحياً من أجل تحقيق النجاح.

٧- تلتقي الفرق الجماعية عدة مرات كل أسبوع على مدى فترات طويلة، حيث تجتمع المجموعات الموسيقية من أربع إلى خمس أوحتى ست مرات في الأسبوع، تحت منطق بسيط هو أنه كلما زاد تواصل الطلاب مع البرنامج، كلما اصبح من الأسهل التأثير على حياتهم بشكل إيجابي. فدرجة التواصل هي جزء من الحُجّة الاجتماعية الأساسية لتقليل فرص عالية المخاطر، ولكنها أيضا تلعب دوراً حاسماً في خلق روح انتماء لأخلاقيات وقيم البيئة الأساسية فى البرنامج، الذى يتسم بالمرح والاسترخاء من خلال الموسيقى.

٨- أن تكون البرامج مجانية، وليست انتقائية في القبول. فالتعليم الموسيقى هو بلا شك مكلّف، لذلك فإن المنظومة تسعى إلى التغيير الاجتماعي مع مراعاة عدم استبعاد بعض الأفراد بناءا على أسباب اجتماعية واقتصادية.

٩- يرتبط كل مركز مم المراكز المنتشرة فى أنحاء الجمهورية ببعضها البعض على كل كافة المستويات الحضرية والإقليمية والوطنية، حيث يتم تشكيل شبكة متماسكة من الخدمات والفرص للأطفال والشباب في جميع أنحاء البلاد.

١٠- من يأخذ على عاتقهم تولى العمل فى كل مركز يكونوا من أساتذة وخريجى كلية التربية الموسيقية المتميزين ومن خريجى أكاديمية الفنون والمعاهد الموسيقية المتخصصة ، ويتم ذلك تحت إشراف وزارة الثقافة.

١١- تعتبر مشاركة الأسرة فى عملية التعليم هي طموح أساسي ، حيث يذهب غالباً الأخوة والأخوات إلى نفس المركز ويقوم أولياء الأمور بحضور الدروس مع أصغر الدارسين، ويتم تعليم أفراد العائلة بسبل دعم الدارسين. وتُشكّل الأسر جمهور أساسي يحرص ويتحمس لحضور جميع الحفلات فى العديد من المواقع والفرق الموسيقية. وتعمل جميع المراكز بنشاط على إشراك المجتمع ككل فى تلك الحفلات التوعوية.

١٢- تعمل المنظومة على دعم الأطفال والشباب بشكل عام، حيث أنه يطمح إلى تغيير حياتهم وعلى تحسين أوضاعهم الصحية على نطاق واسع، وإكمال مسيرتهم فى الحياة. ففي محاولة لاستخلاص العنصر الرئيسي الذي يجعل هناك اختلاف حاسم في التأثير على حياة هؤلاء

الشباب والتحول إلى الإيجابية والتغيير للأفضل، فإننا نجد ان الدافعية والحافز لهما دور كبير فى ذلك، بالإضافة إلى جميع العناصر المذكورة أعلاه. فالحافز له دور هام فى عمل ذلك التغيير الإيجابى، بحيث لا يقتصر لدى الدارسين والشباب التطلع إلى التميز فقط، بل تكسبهم درجة من الدافعية والشغف للتطلع إلى التميز. فهناك ميول دائمة نحو السعى إلى نهاية عالية طموحة من كل فرصة تُقدّم إليهم. فدورة الطموح والإنجاز، وتكرارها باستمرار هى بالتأكيد من أجل الجمال والمساهمة في تنمية وتطوير المجتمع، والتغيرات التى تحدث مع مرور الوقت. وهذا يساعد فى محاولة الإستفادة من الفرص الصغيرة والكبيرة ويساعد الشباب على مواجهة التحديات الصعبة والوصول إلى طريق النجاح. وتُغذى دورة الطموح والنجاح من قبل الإمدادات المستدامة من نماذج الإنجاز والبهجة.

وبعد قيام الباحثة بإستعراض أهم النقاط الأساسية فى عمل منظومة موسيقية فعَّالة فى مصر، توصى الباحثة بتطبيقها فى جمهورية مصر العربية . وتقترح الباحثة تجميع نصوص وأشعار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكل ما هو مفقود ونحتاج لدعمه فى المجتمع المصرى ، مثل الإهتمام بالقيم والأخلاقيات الحميده التى دعت إليها الأديان السماوية مثل النظافة والإيمان وحب العمل والإتقان والرأفة بالحيوان والتسامح والمودة والعمل الجماعى والمشورة ...الخ ، ثم تلحين تلك النصوص وتكوين كورال للأطفال لغناء تلك المؤلفات والأناشيد بمصاحبة البيانو. كما توصى الباحثة بأن يضع قسم النظريات والتأليف ذلك ضمن أولويات القسم بتأليف وتلحين كتيبات أغانى للأطفال للمراحل الدراسية المختلفة ضمن إطار الخطة الخمسية وتشجيع الطلاب بالكليات والمعاهد الموسيقية للمشاركة بذلك.